مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية
ISSN : 1112-993X E-issn :2710-8147
المجلد: 11 العدد:(01) - 2023 / ص21- ص35.

النخب التلمسانية في كتب الرحلة الأندلسية
"رحلة القلصادي أنموذجا"

The Tlemcian Elite in the Andalusian Journey Books “Al-Qalṣādī”Journey as a model

د.عبد العالي غزالي[1]، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، gezeli3112@gmail.com
مخبر الدراسات الحضارية والفكرية جامعة تلمسان

تاريخ الاستلام: 2022/12/31	تاريخ القبول: 2023/02/01	تاريخ النشر: 2023/02/26

الملخص:

عُدَّت مدينة تلمسَان خلال العهد الزيَّاني حَاضِرة الإشعاع الفِكري والازدِهَار العُمراني والتَواصُل العلمي بِبلادِ المغرِب الإسلامِي، حَيث وَفد إليها رحَّالة وجُغرافيُون مِن كُل الأصْقاع الإسلامِية، وخلَّدُوا فِيها أَخباراً عن أَحوالِ سَاكِنتِها، وأوصافاً لعمرانِهَا والحيَاةِ فِيهَا، كَمَا تَرْجَمُوا لِعُلمَائِها المشهُورين في التَّخَصصات النَّقلِيَة والعَقليَة، ولعلَّ من بَين هَؤلاءِ الذِين اهْتَمُوا بتَرجَمَة النُّخَب العِلميَة التِلمسَانيَة: الرَّحَالة الأندَلُسي " أبو الحَسَن القَلصَادي"، والذِي أَوردَ في رحْلَتِه العِلميَة والمسَمَاة ـ تَمهيدُ الطالِب ومُنتَهى الرَّاغِب إلى أَعْلَى المنَازِل والمرَاتِب ـ أحدَ عشر ترجمة لأعْلامِ مَدينَةِ (تِلمسَان)، وكانت تَرجمَة "القَلصادِي" لِهؤُلاءِ النُّخب مُتفاوِتة، بَين مَن ذَكَرَهُم بِوصفِ دَقيق وتَحلِيل عَمِيق، مُبيناً قِيمتهم العِلميَة ومَكانَتِهم الاجتِماعِيَة، وبين هَؤُلاءِ الذِينَ انتَقى شَذرات عَن حَياتِهم العِلميَة، كُل هذا جَعلَ رِحلَته إلى حَاضِرة تِلمسَان تُمثلُ أحد أَهَم المضَان المتَميزَة بالدِّقَة وذات المصداقِيَة، والتي أَرَّخَت للعِلم والعُلماء وطرائِقِ التَعليم التي كَانَت سَائِدة بِتِلمسَان في القَرن 9هـ/ 15م.

كلمات مفتاحية: تِلمسان؛ رِحلة القَلصادِي؛ النُّخَب التِلمسانِيَة؛ التَواصُل العِلمِي؛ محمد الشَّريف؛ طَرائِق التَعلِيم.

Abstract:

The city of Tlemcen considered itself one capitals of intellectual influence, urban prosoerity and scientific communication in the Islamic Meghreb, where geographical travelers from all Islamic regions came, and they left us information about social situations of Tlemcen, descriptions of its town planning, its alleys and its markets, and especially the mention of its brilliant scholars who have excelled, shone and skilful in various sciences, among these geographers "Abū-Ḥassan al-Qalṣādī", who spoke to us in his work of eleven scholars among those of this city who wer part of the elites of the latter. "Al- Qalṣādī" has made variant biographies of these elites, some of them, will mention them by careful description and in-depth analysis indicating their scientific value and social status. Som of them will content themselves with mentioning their scientific life briefly and without developing their biography.

[1] د. عبدالعالي غزالي، باحث مشارك بمخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، gezeli3112@gmail.com

Keywords: Tlemcen ; The Travel of Al-Qalṣādī ; Tlemcian elite ; scientific communication; the Islamic Meghreb.

مقدمة:

تُعدُ رِحلةُ القَلصادِي والمسَمَاة " تَمهيدُ الطَالِب ومُنتَهى الرَّاغِب إلى أَعْلَى المنَازِل والمراتِب " مِن بَينِ أَحدِ أَهمِ الرَّحلات العِلمية أواخر العَصر الوسِيط، والتي جال صاحِبُها أرجاء العالم الإسلامي، ووقف على أحواله، وأخذ الإجازَة عن عُلمائِه، وحظي المغرب الأوسط بحيز فريد من تلك الرِّحلَة، لاسيما مدينة تِلمسان والتي كانت حاضرته الكُبرى، وعاصمةً لسلاطين بني زيَّان، وكان دخوله إليها فرصةً لِلقاء عُلمائها والأخذِ عنهُم، وقد أَفرد في رحلَتِه تَراجِمَ عديدة لهؤلاء السَّادَة مُتتبعاً العلوم والفنُون التي بَرعُوا فيها، والمهَن والأماكِن التي نَزلُوا بها ودَرسُوا فِيهَا.

فمن هو أبو الحسن القلصادي؟

و ماهي المكانة التي حظيت بها تلمسان في رحلته العلمية؟

من هم أعلام النُّخبة[1] التلمسانية؟ وما هي أدوارهم العلمية؟

1. التعريف بالقلصادي:

هو علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن الشهير بالقلصادي[2] الأندلسي المالكي[3]، ولد قبل سنة خمس عشرة وثمانمائة في مدينة بسطة[4] وقرأ بها القرآن لورش من قراءة نافع[5] و ذكر شكيب أرسلان أنه منسوب إلى قلصادة من أعمال تطيلة وهي التي يسميها الاسبان (Santa Domingo de la Calzada) وهي على بعد 19 كلم غرب (ناجرة)[6].

نشأ "القلصادي" بمدينة (بسطة) ودرس بها على يد علمائها، حيث بدأ بحفظ القرأن الكريم، وتجويده وتفسيره، ثم الحديث وفروع الفقه وقواعد العربية والحساب[7] التي لها صلة وثيقة بعلم الفرائض، بالإضافة إلى تمكنه من حفظ المتون وشروحها لاسيما تلك التي كانت منتشرة في مدارس الأندلس والمغرب[8]، كما كان في هذه المرحلة كثير التردد على غرناطة عاصمة المملكة.

وقد أخذ هذه العلوم والمعارف وغيرها على يد جُلَّة من كبار شيوخ وعلماء وأدباء عصره، ومن خلال رحلاته نذكر بعضهم التالي:

أ - علي بن موسى بن عبد الله البسطي المشهور بالقرباقي:

عالم أندلسي مشهور، أصله من كورة أندلسية تدعى (قرباقة)[9] التي ينسب إليها، متمكن من علوم الفقه والحديث والتفسير والطب، عارفا بأحوال العرب وطبائعها وأنسابها[10]، وهو شيخ "القلصادي" وأخذ عنه في علوم وفنون شتى، قال "القلصادي":«قرأت عليه بعض الكتاب العزيز وبعض التفريع لابن الجلاب، وجمع التلقين للقاضي عبد الوهاب، وشيئا من ابن الحاجب الفرعي، وأكثر التنقيحات للقرافي، وجمع الايضاح للفارسي، وبعض ألفية ابن مالك، وكتبا متعدد في علوم شتى»، تنقل في مدن الأندلس واستقر به المقام في مدينة بسطة، وتوفي بها في زمن الوباء يوم 10 صفر من عام 844هـ/ 01 جويلية- يوليو 1440م[11].

ب- أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازي ثم المصري:

المعروف بـ: "ولي الدين أبو زرعة العراقي" (762هـ/1361م- 826هـ/1423م)، رحل مع أبيه إلى دمشق فدرس فيها سنة 765هـ/ 1364م، ثم توجه إلى مصر فارتفعت بها منزلته، وعظم صيته إلى أن ولي بها القضاء سنة 824هـ/ 1422م، وتولى التدريس وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب، من بينهم "القلصادي" الذي أجاز له شيخه "أبو زرعة" إجازة عامة على ما رواه على اختلاف طرقه، وما قاله ومن ذلك " الموطأ"[12].

ج- أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني:

أصله من مدينة باجة[13] بتونس، ولد سنة 757هـ/ 1353م[14]،أخذ عن أبيه وغيره من علماء عصره كأبي مهدي "عيسى الغبريني" و"ابن عرفة"، وولي قضاء الجماعة بتونس، كما أخذ عنه "القلصادي" وذكره في رحلته، له تواليف كثيرة و معتبرة في المذهب المالكي، منها: "شرح الرسالة"، و" شرح ابن الحاجب الفرعي" وغيرهما، و" شرح على المدونة"، وكان فقيها اماما مفتيا مدرسا، عارفا بمذهب مالك في عصره، تصدر لتدريس علوم الفقه والتفسير والحديث بتونس[15]، توفي وهو متقلد خطة القضاء سنة 863هـ/ 1459م[16].

د- محمد بن ابراهيم بن عقاب الجُذامي التُونسِي:

قاضي الجماعة بتونس[17] وإمامها وخطيبها بالجامع الأعظم، أخذ عن الشيخ "بن عرفة" وأجازه "سعيد العقباني"، إمام في الفقه وأصوله وعلم الكلام وفصوله، لازمه "القلصادي" وحضر مجالسه العلمية لاسيما تلك التي كانت في التفسير والحديث والفقه والمنطق، وسمع عليه صحيح البخاري غير مرة، والشفا للقاضي عياض، وقرأ عليه أيضا معظم الكتب الفقهية والشروحات والمتون والمختصرات السائدة في عصره، وناوله الجميع وأجازه، تولى التدريس بالمدرسة المنتصرية بسوق القلعة عندما تم بناؤها[18]، توفي يوم الاثنين 17 جمادى الأولى من عام 851هـ/ 31 جويلية- يوليو 1447م، وصلى عليه بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر، ثم دفن بجل المرسى بمقبرة الشيخ أبي سعيد الباجي[19].

2. رحلته[20]: يعتبر "القلصادي" رحالة جغرافي زار العديد من الأمصار، ومؤرخ ألم بمختلف الأخبار، وله دراية بتخصصات علمية كثيرة معظمها في علم الحساب والفرائض والتي كان متمرسا وحاذقا بها.

ابتدأ القلصادي رحلته سنة 840هـ/1436م عازما على النهل من علوم ومشايخ الحواضر العلمية في عصره بالمغرب والمشرق، وتهيأ له أن يغذي طموحه ويشبع نهمه إلى مزيد المعرفة، ويغترف من ينابيعها الفيَّاضة[21]، حيث انتقل إلى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح[22] والسرقسطي[23] وغيرهما، ثم مر عبر تلمسان والتي كانت تعيش أزهى عصورها، أين تتلمذ على شيوخها وعلمائها الذين سنخصص لهم عنصرا خاص، ثم توجه نحو تونس وعبر عن إعجابه بها لما رأى فيها من سوق العلم نافقة وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة[24].

أقام في تونس مدة سنتين ونصف سكن خلالها (بالمدرسة الجديدة) بحي باب السويقة، وبالمدرسة المنتصرية[25] القريبة من جامع الزيتونة المعمور[26] وذلك في رحلة الذهاب إلى البقاع المقدسة، إذ كان يتلقى الدروس في مختلف الفنون العلمية على شيوخ تونس الذين تتلمذوا على يد الشيخ "محمد بن عرفة"(ت803هـ/1399م)[27]، واتجه بعد ذلك إلى القاهرة المعزية[28] عبر جربة فطرابلس الغرب، ثم الإسكندرية واقتصر في القاهرة على الأخذ عن الشيخين:

أ - زين الدين طاهر النويري المالكي:

هو طاهر بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن مكين النويري المالكي المقرئ، الشيخ زين الدين بن الشيخ نور الدين، ولد بعد 795هـ/ 1393م، أحد الأعلام الفطاحل في المذهب المالكي، تلا على بن الجرزي وغيره، وتفقّه بالبساطي وغيره، وأخذ النحو على سبط بن هشام، صار متضلعا وجامعا بين العلم والعمل، والتواضع والعفة، وُلِيّ تدريس المالكية بالبَرقوقية، وبمدرسة حسن، والإقراء بالجامع الطولوني، توفي في ربيع الأول من سنة 856هـ/ 1453م[29].

ب - علم الدين الحصيني الشافعي:

هو تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحسيني الحصيني الدمشقي الشافعي، ولد سنة 752هـ/ 1352م، تفقه على يد شيوخه: كالشريشي، والزهري، وابن الجابي، وابن غنوم وغيرهم، كان يميل إلى التقشف ويبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له تآليف كثيرة من بينها: "شرح التنبيه والمنهاج"، و"شرح مسلم " في ثلاث مجلدات، ولخص "المهمات" في مجلدين، وشرح "أسماء الله الحسنى" في مجلد، غيرها كثير، توفي بخلوته بجامع المزَّاز بالشاغور في 15 جمادى الآخرة من سنة 829هـ/ 1426م[30].

أما في البقاع المقدسة فقد اشتغل "القلصادي" بتأليف كتاب في الفرائض وهو (شرح فرائض بن الحاجب)، كما اشتغل برواية الأحاديث النبوية عن الشيخ المحدث "أبي الفتح الحسني المراغي" الذي أجاز "القلصادي" في أسانيده على كتب الأحاديث[31]؛ ومارس نشاطه العلمي في البقاع إلى أن أتم مناسكه وقفل راجعا إلى غرناطة، بعدما أعطى صورة واضحة عن تلك الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية؛ فضلا عن ذكر الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم وترجم لهم وذكر أسماء الكتب والمدارس التي انتشرت في ذلك العصر، مما جعل رحلته تحتل مكانة مهمة بين الرحلات[32]، توفي في باجة سنة 891هـ/1486م.[33]

2. مؤلفاته:

قال عنه المقري:«آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس، وأكثر تصانيفه في الحساب والفرائض كشرحيه العجيبين على تلخيص بن البناء والحوفي»[34]، يتبين لنا من خلال ما ذكره "المقري" أن الأندلس في هذه الفترة كانت تعيش مرحلة أفول وتراجع فكري لأسباب سياسية وأمنية متعددة، لذلك هجر معظم العلماء إلى مختلف البلدان الإسلامية ليضمنوا لأنفسهم حياة كريمة ومنهم "القلصادي" الذي استقر بباجة وتوفي بها، كما يشير المقري إلى أن "القلصادي" كان صاحب تآليف كثيرة في شتى العلوم.

و من بين أهم مؤلفاته ما يلي:

عنوان الكتاب	صنفه	مكان تواجده
غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب	علم الحساب	طبع بالقاهرة سنة 1891 وبفاس سنة 1897م، وتوجد منه نسخة مخطوطة في جامعة أم القرى تحت رقم: 4/1023 بعنوان قانون الحساب وغنية ذوي الألباب.
كشف الأسرار في علم الغبار	علم الحساب	حقق وطبع كتاب من طرف محمد سويسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988م.
كشف الجلباب عن علم الحساب	علم الحساب	ذكر في نفح الطيب للمقري 693/2، البستان لابن مريم ص 142، كفاية المحتاج للتنبكتي ص 362.
شرح تلخيص ابن البناء	علم الحساب	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد	علم الحساب	حقق وطبع كتاب من طرف الأستاذ محمد الهادي عبد الرحيم، 2005م.
رسالة ذوات الأسماء	علم الحساب	حققت ونشرت ضمن كتاب عنوانه "نماذج من التراث العلمي العربي"، للأستاذ محمد سويسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.
شرح الأرجوزة الياسمينية ومختصره	علم الحساب	توجد نسخة مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم 7230/ مج 388- مج 995. وتسمى بـ: "تحفة الناشئين على أرجوزة ابن الياسمين".
قانون الحساب وشرحه	علم الحساب	توجد نسخة مخطوطة في المكتبة الالكترونية للملك عبد الله بن عبد العزيز، تحت رقم 1023-4.
الضروري في علم المواريث	علم الفرائض	البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 261.
رسالة في كليات الفرائض	علم الفرائض	توجد منه نسخة مخطوطة ضمن "المجموع" بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 10093/ ينظر إلى محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، ص 110.
المستوفي لمسائل الحوفي	علم الفرائض	توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الالكترونية لمؤسسة آل سعود بالدار البيضاء، تحت رقم 579/2

شرحان على التلمسانية	علم الفرائض	توجد منه نسخة مخطوطة ضمن "المجموع" بالمكتبة الوطنية بتونس/ ينظر إلى محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، ص111.
تقريب المواريث	علم الفرائض	يوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية التونسية، تحت رقم 19738.
شرح منظومة الشران	علم الفرائض	تحقيق: أبو زكريا محمد صغيري، دار الرشاد الحديثة، الرباط، 2013م.
بغية المبتدي وغنية المنتهي	علم الفرائض	توجد منه نسخة مخطوطة ضمن "المجموع" بالمكتبة الوطنية بتونس. وطبع بفاس/ ينظر إلى محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، ص110.
شرح فرائض مختصر خليل	علم الفرائض	دراسة وتحقيق: بوجمعة حمد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008م.
أشرف المسالك إلى مذهب مالك	علم الفقه	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
شرح الرسالة	علم الفقه	ذكر في نفح الطيب 693/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
هداية الأنام في شرح قواعد مختصر الإسلام	علم الفقه	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
غنية النحاة وشرحاه	علم النحو	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
شرح على رجز ابن مالك	علم النحو	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 143، كفاية المحتاج ص 362.
شرح الأجرومية	علم النحو	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
شرح جمل الزجاجي	علم النحو	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 143، كفاية المحتاج ص 362.
شرح الخزرجية	علم العروض	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 143، كفاية المحتاج ص 362.
شرح ايساغوجي	علم المنطق	متوفر نسخة مخطوطة في خزانة القرويين بفاس، تحت رقم 1571/3.
شرح أرجوزة ابن فتوح	علم النجوم	ذكر في نفح الطيب 693/2، كفاية المحتاج ص 261.
النصيحة في السياسة العامة والخاصة	علم السياسة الشرعية	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 143، كفاية المحتاج ص 362.
تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمراتب.	التراجم والسير	رحلته المشهورة التي حققها محمد أبو الأجفان، وأصدرتها الشركة الوطنية للتوزيع سنة 1978م.
شرح حكم ابن عطاء الله	علم التصوف والمدائح	البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 362.
شرح البردة	علم التصوف والمدائح	ذكر في نفح الطيب 693/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 261.
شرح رجز أبي عمرو بن منظور، قاضي الجماعة في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم	علم التصوف والمدائح	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 261.
شرح رجز ابن بري	علم القراءات والحديث	ذكر في نفح الطيب 694/2، البستان ص 142، كفاية المحتاج ص 261.

شرح الأنوار السنية لابن الجرزي	علم القراءات والحديث	تحقيق محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 2010م.

ما يلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن علم الحساب -الرياضيات- كان احدى اهتمامات "القلصادي" العلمية، التي ركز عليه بشكل دقيق، فضلا على أنه تخصص برع وأبدع فيه، وجاءت اسهاماته العلمية والفكرية أيضا بالموازاة مع علم الحساب هو علم الفرائض، الذي تصدر قائمة الانتاج الفكري مع علم الحساب بـ 16مؤلفا، وتأتي باقي العلوم الأخرى المختلفة في ذيل الترتيب بـ 17 مؤلفا، لكن الملفت للانتباه؛ هو أن بعض هذه الكتب لا تزال في رفوف المكتباب كمخطوطات لم تعرف النور بعد، والبعض الآخر مفقودة، ورد ذكرها والإشارة لها في المصادر، خاصة تلك التي دونها في علم التصوف والمدائح وعلم النحو.

4. المكانة العلمية لمدينة تلمسان:

عرفت مدينة تلمسان خلال الفترة الزيانية ازدهارا علميا ونشاطا فكريا كبيرين، باعتبارها حاضرة اشعاع ثقافي مهم ببلاد المغرب الإسلامي، ويؤكد ذلك جُل الرَّحالة الذين كتبوا عنها بما شاهدوه وعاشوه بها، ومن ذلك ما جاء في كتاب "المسالك والممالك" الذي يقول مؤلفه: «ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدِثينَ، وحَمَلةُ الرَّأي على مذهب مالك بن أَنس رحمه الله»[35]، ونفس الكلام يورده مؤلف كتاب "الاستبصار" الذي يقول: «ومدينة تلمسان مدينة علم وخير، ولم تزل دار العلماء والمحدثين».[36]

وازدادت أهميتها العلمية من خلال عناية الملوك والسلاطين للعلم والعلماء وتشييد المدارس والمساجد[37] والكتاتيب واستقبال الوفود العلمية من كل الأصقاع الإسلامية، وهذا ما يؤكده "التنسي" في تشييد مدرسة أولاد الإمام على عهد "أبي حمو موسى الأول" والتي هي من أهم آثاره العمرانية الجديدة والجميلة [38] ويذكر "يحي ابن خلدون" في " بغية الرواد " مدى اهتمام السلطان "يغمراسن" بالحركة العلمية فقال:«إن يغمراسن بن زيان كان يؤثر الصالحين والعلماء، ويجالسهم كثيرا»[39]، ويستند إلى ذلك ما ذهب إليه "التنسي" في قوله:«وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله»[40]؛ كما تتجلى هذه الأهمية في سابع سلاطين بني زيان الذي يعتبر من النخبة العلمية التلمسانية، فضلا عن كونه قائدا سياسيا محنكا ذاع صيته شرقا وغربا ألا وهو "أبو حمو موسى الثاني"[41] صاحب كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" الذي أوضح فيه النظرية السياسية ورسم معالمها بناءا على تجاربه في الواقع الذي كان يعيشه[42]، وهو بذلك يكون من المنظرين الأوائل للسياسة الشرعية ببلاد المغارب، ونتيجة لتكوينه العلمي نقلا وعقلا وشعرا كانت له عناية خاصة بالعلم وأهله فبنى مدرسة كبيرة بتلمسان وفد للتدريس بها كبار العلماء[43].

نتيجة لهذه العوامل كلها هاجر العديد من العلماء الأندلسيين إلى مدينة تلمسان سواء من أجل اتخاذها كموطن دائم أو من أجل التدريس بها، واختارت الأغلبية الاستقرار بها نظرا لما أحاطهم به حكام المدينة، وبخاصة ملوك بني زيان، من كرم ومكانة عالية فضلا على الدعم المادي الذي وفر لهم ما كانوا في حاجة إليه من أجل مواصلة نشاطهم العلمي[44].

5. وصف القلصادي لمدينة تلمسان:

ورد في الرحلة أن "القلصادي" دخل مدينة تلمسان عام أربعين وثمانمائة الموافق 1436م[45]، فأعطانا صورة صادقة عما رآه وعاشه وتهيأ له المقام بالمكوث فيها ووصف طبيعتها الجغرافية ومحاسنها بأسلوب أدبي شيق، يكثر فيه السّجع مع التّسلسل في وصف محاسن المدينة وأعيانها وذكر علمائها وشيوخها، فمدينة تلمسان كانت حاضرة إشعاع فكري مقصودة للزيارة من طرف الرّحالة الأندلسيين، وما يدل على ذلك قول "القلصادي" في رحلته: «ثم توجهنا إلى المقصودة بالذّات، المخصوصة بأكمل الصّفات، تلمسان يالها من شان ذات المحاسن الفائقة، والأنهار الرَّائقة، والأشجار الباسقة، والأثمار المحدّقة»[46] من خلال هذا الوصف نستنتج أن مدينة تلمسان كانت تتوفر على كل المقومات

الاقتصادية؛ وأساسها الماء العنصر الأساسي في إنعاش الإنتاج الزراعي بالمدينة، لاسيما المرافق الاقتصادية التي شيدت من طرف بعض الملوك كالفنادق والمحلات التجارية[47].

ويكشف لنا "القلصادي" كذلك من خلال رحلته طبائع الناس أهل الفضل والجود والكرم من مختلف الأجناس، وهذا ما يدل على مدى المكانة الاجتماعية المرموقة التي كان يتحلى بها أهل تلمسان على اختلاف مللهم ونحلهم، حيث يؤكد ذلك في قوله: «والناس الفضلاء الأكياس، المخصوصين بكرم الطباع والأنفاس، ولا ينكر وجود الفاذ[48] من جميع الأجناس»[49] أي الشّاذ من الناس وهو الذي شّذ و بقي وحيداً دونهم.

أدرك "القلصادي" بتلمسان ثُلّة من الصّلحاء والعبّاد والزّهاد الذين كان لهم الفضل الكبير في تكوينه العلمي، ويتبين لنا من خلال رحلته أن الحركة العلمية كانت في أوج عطائها، فأخذ يشتغل بالعلم وهي البضاعة الرائجة والتجارة الرابحة وقتئذ بتلمسان، إذ يذكر ذلك في قوله: «وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعبّاد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان، المشهود لهم بالفصاحة والبيان»[50]، وهؤلاء الثلة هم النخبة التي استنارت بها حاضرة تلمسان علميا ومعرفيا، حيث العادة السائدة عندهم في تلقين العلوم كانت دائما علوم القرآن والحديث كنقطة انطلاق[51] وشرط ملزم لكل طالب يريد أن ينهل من هذه العلوم.

6. تراجم النخبة العلمية التلمسانية الذين ورد ذكرهم في رحلة القلصادي:

تعتبر "رحلة القلصادي" من بين الرّحلات التي ترجمت للنخب العلمية في مدينة تلمسان خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، وتشكل هذه الرحلة مصدر مهم لمعرفة أحوال المدينة العلمية والثقافية والاجتماعية، وبفضلها نتعرف كذلك على أساليب التعليم وطرائق التعلم ومظاهر التواصل الثقافي بين حاضرة تلمسان وغيرها من الحواضر، حيث لعبت النخبة التلمسانية دورا علميا بارزا في استقطاب العلماء وطلبة العلم من كل الأصقاع الإسلامية، لاسيما الدور السياسي الذي لا يقل أهمية في ذلك.

ذكر "القلصادي" في رحلته أحد عشر علما من أعلام مدينة تلمسان، ترجم لسبعة منهم وهم شيوخه الذين قرأ عليهم، وأربعة حضر في مجالسهم ولم يقرأ عليهم بلفظه[52]، وهؤلاء السبعة هم كالآتي:

أ - محمد بن مرزوق(الخطيب):

هو الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي[53]وهو المعروف بابن مرزوق الحفيد تمييزا له عن أسلافه وأحفاده[54] حل كنف العلم والعلا، وجل قدره في الجلة الفضلاء، كان من فطاحل العلماء بالمغرب الإسلامي وكانت تشد إليه الرِّحال في طلب العلم، وفي ذلك قال "القلصادي":«وكان له بالعلم عناية تكشف له العماية، ودراية تعضدها الرِّواية، ونباهة تكسب النزاهة، فقرأت عليه بعض كتابه في الفرائض وأواخر الإيضاح للفارسي، وشيئا من شرح التَسهيل لابن مالك، وصحيح البخاري والشاطبتين»[55]، توفي سنة 842هـ/1439م؛ أورد لنا "القلصادي" ترجمة مفصلة عن "ابن مرزوق" التي من خلالها يظهر أن "ابن مرزوق" كان متمرساً في العلوم ونابغاً فيها، سليل بيت المرازقة أحد أكبر بيوتات العِلم في تلمسَان، جدُّه أبي العباس أحمد بن مرزوق[56].

يُطلق عليه بجامِع المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأوفر محصُول[57] وقال هو عن نفسه في المناقب:«حتى لقد ارتقيت خمسين منبرا من حواضر الإسلام على ما هو معلوم عند أهل العصر من الخَّاص والعام»[58] أُشتهِر بالفصاحة والبيان وسداد الرأي؛ فكان مطلوباً عند ملوك عصره بالمغرب الإسلامي لاسيما في بلاطِ "أبي الحسن المريني"، قال "ابن فرحون المالكي" في ذكر خِصاله:« الفقيه العلاَّمة الخطيبُ المشهورُ اليوم في بلاد المغرب بالعلوم والفوائِد، والتَّصانيف والرِّئاسة ،وأحبه الملوك وأحبته الرَّعية لما اشتمل عليه من المحاسن والعُلوم»[59].

ب - عيسى الرتيمي(أمزيان):

بفتح الهمزة وكسر الميم والزاي المشدَّدة[60]؛ هو من الأعلام الذين حظيت بهم مدينة تلمسان كان عاما بالفقه والفرائض والحساب، قال عنه "القلصادي":« الصدر العلم في العدد والفرائض، أحد عصره وفريد دهره في فنه، لم أرى أعلم منه بكتاب الحوفي في الذين أخذت عنهم»[61]، لم يشتهر كبقية أقرانه في الوسط التعليمي لسبب واحد وهو أنه لم يكن يحسن تعليم المبتدئ، دفن بالقرب من ضريح الولي الصالح "سيدي الحلوي" [62]ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.

ج - محمد الشريف:

هو أبوعبد الله محمد الشَّريف عالم بالفقه والأصول والنَّحو إمام مسجد الخرَّاطين، ذكر "القلصادي" بأنه قرأ عليه تخليص المفتاح، وبعض التسهيل لابن مالك، وكذلك مفتاح الأصول للشَّريف التلمساني، وهو من فطاحل النُّخبة التلمسانية الذين أسهموا وبرعوا في المجال التَعليمي، فضلاً على أنه كان مؤلفا وشارحاً لمسائل وقضايا الفرائض والفقه والعربية، وبالتالي تعكس لنا هذه الصورة المتكررة لدى كل عالم بأن السِّلعة المروجة في حاضرة تلمسان؛ هي فنُ المعرفة العلمية المتنوعة، والتي كانت تُلقن بكل احترافية لدى النشئ وطلبة العلم، توفي سنة 847هـ/1444م[63].

د - يوسف الزيدوري:

جاء في ترجمته ما يلي:« ومنهم شيخنا الفقيه المتفنن في المعقول سيدي أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الشهير "بالزيدوري"، كانت له مشاركة وقدم في علوم الرياضيات»[64]، قرأ عليه "القلصادي" تلخيص أعمال الحساب لابن البنّاء المراكشي، وكذلك الحوفي بطريقتي التَّصحيح والكسور، وبعض الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة لابن البنّاء، كما حضر في مجالسه العلمية التلخيص والتلمسانية والمقالات والجمل للخونجي؛ توفي سنة 845هـ/1441م ودفن خارج باب كشّوط، الذي يقع غرب مدينة تلمسان المؤدي إلى المنصورة، ويسمى اليوم بباب سيدي بوجمعة[65].

هـ - محمد النجار:

هو أبو عبد الله محمد ابن النَّجار من أعلام مدينة تلمسان وفقهائها، جاءت ترجمته مقتضبة في الرِّحلة؛ إذ كان له الفضل على "القلصادي" في تلقينه بعض مختصر "الشيخ خليل"، وبعض المستصفى للغزالي، والجمل للخونجي وغيرها من العلوم التي ذكرها "القلصادي" في رحلته، توفي عام 846هـ/ 1442م ودفن بمقبرته من بستانه خارج باب الجياد.[66]

و- أحمد بن زاغو:

هو من العلماء الذين كان لهم مساهمة علمية في حاضرة تلمسان، جاءت ترجمته في الرحلة شاملة، حيث ذكر "القلصادي" أنه: «أعلم الناس في وقته في التفسير، وأفصحهم في التّعبير، أخذ بمذهب الإمام مالك، وفاق على نظرائه وأقرانه في دلائل السبل والمسالك، إلى سبق في الحديث والأصول وقدم راسخة في التّصوف» [67].

لقد أسهب "القلصادي" في ترجمة هذا العالم الفذ لمكانته العلمية وعطائه المعرفي الذي لا ينضب، وهذا قرينة على انتعاش الحياة العلمية بتلمسان، وشَدَّ الطلبة والشَيوخ الرِّحال إليها من كل الأصقاع الإسلامية، ونجدُ "القلصادي" يروي لنا خبره في ملازمة هذا العالم والانتفاع به في قوله :« وأنا منذ رأيت نجاح دعواته، وصلاح حالي بالتماس بركاته، لازمته وترددت إليه، فكنت أجد في مجالسه فوائد تنسي الأوطان، وأرد من بحر فيضه ما يحيي به الضمآن، فسرت إلى خدمته مسرعا، وإلى مبرته مبادرا، إلى أن سيَّرني كأحد أولاده »[68]، قرأ عليه "القلصادي" في الحديث والتفسير والفرائض والحكم والبيان والحساب والهندسة إلى غير ذلك من العلوم، توفي '"أحمد بن زاغو" عام 845هـ/1441م ودفن بطريق العُبَّاد[69].

ز- قاسم العقباني:

هو سعيد أبو الفضل قاسم العقباني ترجم له "القلصادي" فقال عنه: «ذو أبَّهة وبهاء وحبوة مملوءة من علم، خالية من ازدهاء، وخلقة سمت في مطالع الحسن إلى أنهى كمال وأكمل انتهاء، انفرد بفني المعقول والمنقول واتحد في علمي اللسان والبيان»[70]، وهو من العلماء البارزين المجتهدين، عكف على التعليم بتلمسان، فدرس مختلف العلوم، فأسمع

وأمتع ما أراد من الكتب التي أقرأها في تدريسه[71]، ذكر "القلصادي" أنه قرأ عليه بعض مختصر المدونة لابن أبي زيد، وبعض الحكم لابن عطاء الله، وبعض الحوفي بطريقتي التصحيح والكسور وبعض المناسخات من الشرح لوالده سيدي سعيد وغير ذلك، توفي عام 854هـ/1451م.

بقية العلماء النخبة الذين ورد ذكرهم بدون ترجمة في الرحلة

اسم العالم	تاريخ الوفاة	رقم الصفحة
الحسن بن مخلوف القاطن بتلمسان	857هـ/1453م	108
أبوالفضل بن الامام التلمساني	845هـ/ 1442م	108
محمد بن العباس التلمساني	871هـ/ 1466م	109
سليمان اليزيدي التلمساني	845هـ/ 1442م	109

يبين هذا الجدول بقية العلماء النخبة بتلمسان الذين ورد ذكرهم في رحلة "القلصادي"، وكان قد حضر لمجالسهم العلمية لكنه لم يقرأ عليهم بلفظه، وتمت الاشارة إليهم باقتضاب شديد في الرّحلة، إلاّ أنهم يعتبرون سدنة مدينة تلمسان وعلمائها؛ في مختلف العلوم الرّائجة خلال القرن التاسع هجري/ 15م، وكانت للعلوم الدينية الحظ الأوفر في تصانيفهم ودروسهم، أما العلوم الأخرى فقد نالت نصيبا من اهتماماتهم[72].

7. الدور العلمي للنخب التلمسانية الواردة في الرّحلة

لاشك أن النُّخبة العلمية التلمسانية كان لها أثر بالغ في تشكيل البنية المعرفية الواسعة المعالم؛ وتكوين أجيال من طلبة العلم الذين خلدوا لنا مآثرهم وتصنيفاتهم ومؤلفاتهم ونقل أخبارهم، في الزّهد والتّعبد دون أن تتشوف أعناقهم إلى ما في أيدي الناس؛ ومن بين هؤلاء الطلبة "القلصادي" الذي يستفيض في سرد كل هاته المناقب والآثار، وكان دأبهم مباشر التعليم بطرق منهجية تساعد المتلقي على التحصيل بأسلوب يتناسب وقدرات الطلبة في فهم مختلف العلوم، وتمثلت هذه الطرق في إقراء القرآن وإلقاء الدروس الفقهية وتلقين النظم والمتون وشرح المعاني مع تذليل الصعوبات[73]، فضلا عن مجالس المناظرات وخزائن الكتب والاتصال العلمي مع بقية الحواضر، التي كانت سندا علميا وثقافيا قويا تولى مهمته والتشجيع عليه العلماء الفطاحل بتلمسان؛ كما جرت العادة في المدارس التلمسانية تنظيم أوقات وأزمنة للتعليم ويؤكد "القلصادي" على هذا في قوله :«ولازمته -أحمد بن زاغو- في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية[74] للتفسير والحديث والفقه في أزمنة الشتاء، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف، وفي يوم الخميس والجمعة لقراءة التصوف»[75].

نلاحظ من خلال رحلة "القلصادي" بروز جملة من الكتب المقررة في مراحل التعليم المختلفة، وبما أنها كانت محل إجماع عند علماء تلمسان، فقد أسهب "القلصادي" في سردها اسهابا طويلا، وأخذ يرددها في كل ترجمة لعلم من العلماء، من بينها "مختصر خليل" في علوم الفقه، و"صحيح البخاري" في علوم الحديث، وكتاب "الحوفي مع تلخيص ابن البنّاء" في علم الفرائض والحساب، وكتاب "الحكم العطائية" في الزهد والتصوف وغير ذلك من العلوم ومصنفاتها، وهذا ما يعطينا صورة صادقة عن الدور العلمي والتثقيفي الذي لعبته النّخبة العلمية التلمسانية على مستوى المغرب الإسلامي، وما "القلصادي" إلا ثمرة تلك الجهود والعمل الدؤوب المتواصل لنشر العلوم والمعارف، ويبدو أن علوم العربية والفقه والتصوف كانت أكثر تداولا في البرامج التدريسية العلمية كما يظهر في الجدول الآتي:

جدول إحصائي يمثل العلوم المتداولة عند النخبة العلمية التلمسانية مع أهم الكتب كما وردت في الرحلة.

العلوم المتداولة	علم الحديث	علم الفقه والأصول	علم الفرائض والرياضيات	علوم العربية والبيان	علم التصوف والمنطق	علم التفسير	المجموع
عدد الكتب	03	12	05	07	08	01	36
النسبة المئوية	8.33	33.33	13.88	19.44	22.22	2.77	%100

يظهر لنا من خلال هذه الرحلة أن علماء تلمسان كانت لهم قدم راسخة في العلم والأخلاق، متحلين بخصال الكرم والفضيلة، وحسن الطبع بقيت أسوة واقتداء لمن أتى بعدهم، فكثيرا ما يذكر "القلصادي" عبارات تدل على ذلك مثل: "الإمام الصدر العلم" و"الفقيه المتفنن في المعقول والمنقول" وغيرها من الأوصاف ذات الطابع النخبوي المتأصل في العلم، غير أن جُلهم كان يعيش حياة الزهد والتعفف عن الدنيا وزهرتها وهو حال العالم التلمساني الفّذ "يوسف الزيدوري" "لا يلتفت إلى أحد من أبناء الدنيا ورغب بها عن ما يهين الطالب وكان لباسه كساء صوف لا غير"[76]، والظاهر من خلال الرصد البيبليوغرافي لأهم العلوم المتناولة في حلقات التعليم، أن العلوم الدينية احتلت الصدارة؛ بفضل كثرة الاقبال عليها، ولاسيما أنها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة، في القضاء وفي الدواوين الإدارية، وغير ذلك من المناصب التي كان يتهافت عليها الناس[77].

كما يشير "القلصادي" إلى حالة التورع وضبط النفس والاستغناء بشرف العلم والتصنيف والتدريس، حتى كان بعضهم يضرب به المثل في ذلك كما أورد عن "أحمد بن زاغو" في قوله:«وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة، مقبل على الآخر معرض عن الدنيا، أكرمه المولى بتلاوة القرآن وشرفه بملازمة قراءة العلم والتصنيف والتدريس والتأليف»[78]، لاسيما التماس بركتهم وملازمتهم والنهل من اجتهاداتهم في مختلف المسائل العلمية، وكان هذا عرفا سائدا في تلمسان فعله "القلصادي" مع شيخه المذكور آنفا في قوله:«وأنا منذ رأيت نجاح دعواته وصلاح حالي بالتماس بركاته لازمته وترددت عليه، فكنت أجد في مجالسه فوائد تنسي الأوطان وأرد من بحر فيضه ما يحيى به الضمآن، فسرت إلى خدمته مسرعا وإلى مبرته مبادرا»[79].

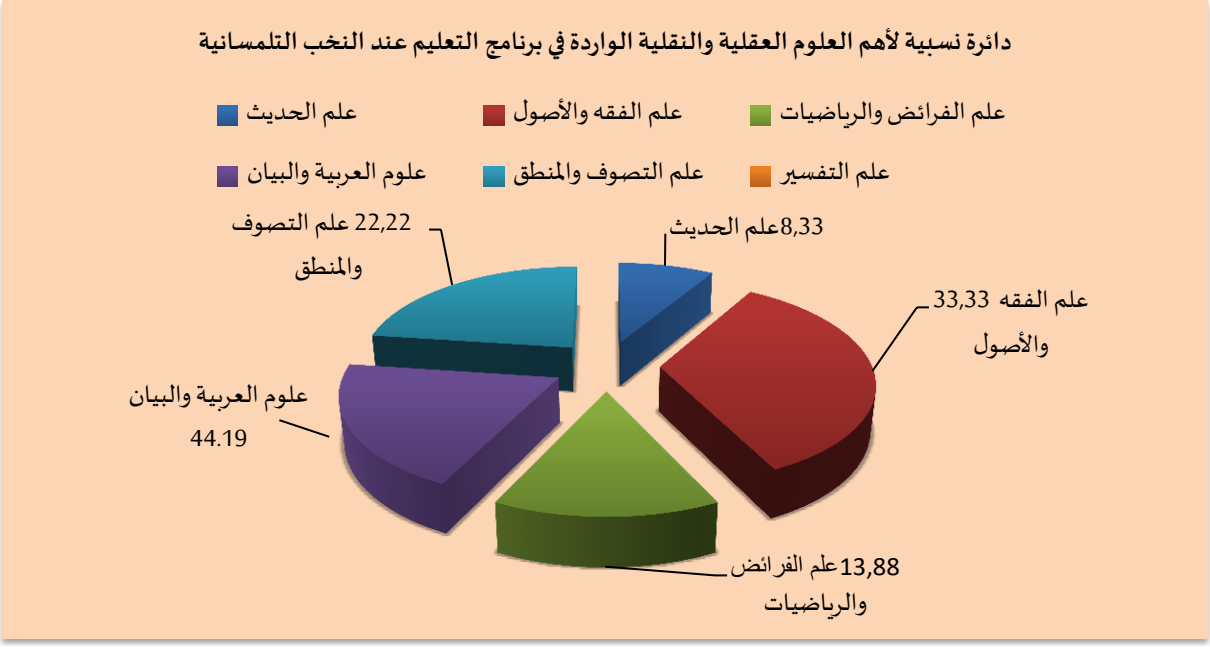

يتضح من خلال هذه الدائرة النسبية؛ أن نسبة العلوم العقلية والنقلية الواردة في برنامج التعليم عند النخب التلمسانية لها دلالة خاصة، إذ أن نسبة علم الفقه والأصول مرتفعة مقارنة مع غيرها من العلوم، ومَردُ ذلك هو التركيز على معرفة الأحكام الشرعية وأصول الفقه ومختلف النوازل والقضايا التي يعيشها المجتمع التلمساني، ومن المؤكد أن هذه الأحكام كانت تسير وفق المذهب المالكي الذي ترسخ بشكل كبير على العهد الزياني، وكانت العلوم الأخرى من المقررات التي تلزم طالب العلم في المدارس بأن يتضلع فيها ويطور قدراته الفكرية والعقلية، وبالتالي تجدر الاشارة إلى أن هذه العلوم ساهمت في تشكيل منظومة معرفية متكاملة ومتناسقة، أنتجت لنا العديد من النخب البارزة والمتفوقة في فنها التعليمي، وما صاحب الرحلة "القلصادي" إلا ثمرة هذه المنظومة التي أسسها علماء تلمسان.

خاتمة:

من خلال كل ما سبق ذكره؛ يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به الرّحالة الجغرافي الأندلسي "أبو الحسن القلصادي" في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن طبيعة مدينة تلمسان الجُغرافية خلال القرن 9هـ/ 15م، بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية التي كان يتصف بها سكان المدينة على اختلاف أجناسهم، كما تعتبر رحلة "القلصادي" من بين أهم الرَّحلات التي سلَّطت الضوء بشكل واضح على علماء مدينة تلمسان، الذين ساهموا وأسهموا وكانت لهم مسارات تجديدية في مختلف العلوم.

كشف لنا "القلصادي" في رحلته على مدى براعة علماء تلمسان في علمي المعقول والمنقول، فترجم لأربعة علماء كان لهم السبق في تلقين العلوم العقلية، وتدوين المتون والشّروحات على ذلك كالحساب والهندسة وعلم الفرائض وغيرها، وهذا مما أعطى تلمسان مكانة علمية عالية على مستوى المغرب والأندلس، بالإضافة إلى تجسيد هذا الإنتاج العلمي في المدارس الخمسة التي ستتولى مهمة التعليم لكافة الطلبة الذين آوتهم حاضرة تلمسان.

تعتبر رحلة "القلصادي" مصدرا لا يقل أهمية عن غيره من كتب الرِّحلة والتراجم، حيث نجده يترجم لعلماء كانوا النُّخبة والصّفوة في تلمسان، لا نجد لهم أثرا في مصادر أخرى؛ إلاَّ أنَّهم أخذوا عن القلصادي مثل "عيسى الرتيمي" و"محمد الشَّريف"، وبالتالي انفرد بذكر خصالهم ومناقبهم ولو النزر اليسير، وهذا ما يدل على التقدم العلمي والرقي الحضاري في ذلك الوقت، مما يجعلنا نصنف هؤلاء العلماء إلى فقهاء محدثون وأدباء مفكرون وفلاسفة معتدلون ورياضيون مبدعون.

الهوامش (الإحالات):

[1] النُّخبة (Elite) تعني فئة قليلة من النّاس، يحتلون مركزًا سياسيا أو إجتماعيًا مرموقًا، كما يطلق التعبير على مجموعة تفوّقت أو اكتسبت شهرة في مجال معيّن، و تجمع هذه الفئة أعظم الكفايات في مجال تخصّصها وقد تكون النخبة حاكمة أو غير حاكمة، والنخبة السياسية هي التي تسيطر على أعلى المناصب في هرم الدولة بفضل مؤهلاتها العلمية والفكرية والعقلية، أو بسبب تضحياتها الجسيمة في سبيل مصلحة الدولة والأمة. ينظر إلى: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج6، ط2، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، 1995م، ص- ص 560-561. وينظر كذلك إلى:. Giovani Busion ,Elites et Elitisms,Casba Editions ,Alger ,1998, p3

[2] أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م، ص 30.

[3] اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، م2، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ص 737.

[4] بسطة: مدينة بالأندلس بالقرب من الوادي آش، وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة آهلة ذات أسوار وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات وبينها وبين جيان ثلاثة مراحل، ينظر الى عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، ص 113.

[5] شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج6، دار الجيل، بيروت، ص 14.

[6] شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية، ج2، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936م، ص 172.

[7] كانت مدارس تلمسان رائدة في هذا المجال خاصة المدرسة اليعقوبية، التي تعلم فيها "القلصادي" وأخذ عن شيوخها علم الحساب والفرائض والرياضيات ونبغ في ذلك، كما توارث الأساتذة النخبة بها على رأسهم "سعيد العقباني" في تدريس هذه المواد العلمية مدة زمنية طويلة وتخرجت على أيديهم، وكانت ملاذاً للعديد مِن طلبةِ العلم الوَافدين من مختلف الأصقاع الاسلامية.

[8] أبو الحسن القلصادي، المصدر السابق، ص 31.

[9] قرباقة: تطلق عليها بعض المصادر الجغرافية اسم (قَرِبَاكَة)، وهي من إقليم مولة في الأندلس، بها أعين ماءٍ كثيرةٍ تُفَتِتُ الحَصى بطبعِهَا، كما وصفها ابن عبد المنعم في روض المعطار، المصدر السابق، ص 150.

[10] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، 1993م، بيروت، لبنان، ص 535.

[11] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 1999م، ص 334./ القلصادي، المصدر السابق، ص 87.

[12] أبو جعفر الوادي آشي، ثَبْتُ الوادي آشي، دراسة وتحقيق: عبد الله العمراني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص 105.

[13] باجة: مدينة عريقة في عمق التاريخ والحضارة بشمال افريقيا، تقع في تونس، لها أشجار كثيرة وأعين متوفرة، ذات حسن وجمال في المنظر، وكانت في العهد الحفصي مسقط رأس العديد من النخب العلمية التونسية المرموقة، من بينهم أحمد القالشاني المذكور في رحلة القلصادي. ينظر إلى: محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: مهدي عيد الرواضية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2006م، ص 188.

[14] أبو عبد الله الأنصاري، فهرسة الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ص 112./القلصادي، المصدر السابق، ص 122.

[15] ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ج1، المكتبة العتيقة، تونس، ص 82.

[16] القلصادي، المصدر السابق، ص 116/ السخاوي، المصدر السابق، ص 137.

[17] السخاوي، المصدر السابق،ج10، ص 16.

[18] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1984م، ص 408.

[19] أبو عبد الله الأنصاري، فهرسة الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ص 112./القلصادي، المصدر السابق، ص 122.

[20] الرّحلة: بمعنى السّير والضّرب في الأرض، وجاءت بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر، أي تحديد الوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، وذلك لتحقيق هدف معين ماديا أو معنويا ينظر إلى: ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، لبنان،1990م، ص 270.

[21] القلصادي، المصدر السابق، ص 115.

[22] إبراهيم بن فتوح: هو سيدي أبو إسحاق إبراهيم بن فتوح العقيلي، شيخ علماء الأندلس في وقته، كانت له مشاركة في العلوم مع تحقيقها، حيث تخرج على يديه أكثر علماء الأندلس الأعيان، كان مهتما كثيرا بالأصلين والمنطق والمعاني والبيان، وله تحقيق بتفسير الكتاب العزيز وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، حضر "القلصادي" في مجالس شيخه بن فتوح العلمية وسمع منه وقرأ عليه علوم شتى؛ في المنطق والطب والفرائض والأصول وغيرها، توفي 16 ذي الحجة 867هـ/ 22 أوت 1463م عن عمر يناهز الثمانين سنة، ودفن خارج باب إلبيرة. ينظر إلى: رحلة القلصادي، نفس المصدر، ص 168.

[23] محمد السرقسطي: كان من أحفظ الناس لمذهب الإمام مالك، وكان فصيحا وجيز العبارة ومعتكفا على قراءة المذهب وحاذقا فيه، قرأ القلصادي على يديه كتبا عديدة منها: كتاب مسلم في الحديث، وكذلك الموطأ والتهذيب للبرادعي، وابن الحاجب والتلقين والرسالة، وخليل وبعض المقدمات لابن رشد وكذلك المدونة، توفي يوم الثلاثاء 07 محرم من عام 865هـ/ 17 جوان 1461م، وكانت له جنازة عظيمة حضرها السلطان فمن دونه، ودفن خارج باب إلبيرة بغرناطة. ينظر إلى: رحلة القلصادي، نفس المصدر، 164.

[24] نفسه، ص 113.

[25] المدرسة المنتصرية: سميت على السلطان الحفصي "أبي عبد الله محمد المنتصر بالله" في عام 838هـ/1434م، هي أحد المعالم التاريخية لمدينة تونس العتيقة التي أقام بها "القلصادي"، كذلك هي من المدارس القليلة التي يميزها الطابع المشرقي المعماري. ينظر إلى: Daoulatli (A.) ,*Tunis sous les Hafsides,* Institut National d'Archéologie et d'Art, Tunis, 1976, p65.

[26] القلصادي، المصدر السابق، ص 35.

[27] محمد بن عرفة: الورغمي التونسي إمامها وعالمها وخطيبها، قل بتونس من لم يأخذ عنه، أخذ عن الإمام عبد السلام القراءات العشر والحديث ولازمه كثيرا وأخذ عنه علما غزيرا، وله تآليف كثيرة منها في المنطق والفقه وغيرها. ينظر إلى: أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، منشورات الدعوة الإسلامية، ج2، ص ص 464- 465.

[28] القاهرة المعزية: هي مدينة على ضفاف نهر النيل مصرها القائد العسكري جوهر الصقلي حصناً ومعقلاً لمولاه الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله" سنة 359هـ/ 970م، لذلك سميت بإسم الخليفة، وقد أشار "المقريزي" في الخطط بأنها رابع موضع انتقل سرير السلطنة إليه من أرض مصر بعد مدينة الفسطاط، تحتوي على جامع يعتبر من بين أقدم الجوامع الفاطمية في مصر وهو "الأزهر" بني سنة 361هـ/ 972م، وصارت القاهرة دار الخلافة ينزلها الخليفة وحرمه وخواصه إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية، ثم سكنها بعدهم الأيوبيين ثم المماليك، ينظر إلى: تقي الدين المقريزي(845هـ)، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، مطبعة بولاق، القاهرة، مصر، ص ص 348- 361.

[29] جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرَّره: فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1927م، ص 120.

[30] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، م7، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، 1993م، ص 275.

[31] اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، المصدر السابق، ص737.

[32] أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988م، ص 692.

[33] اسماعيل باشا البغدادي، نفسه، ص 738.

[34] المقري، المصدر السابق، ص 692.

[35] البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة قرطاج، الدار العربية للكتاب،تونس، 1992م، ج2، ص 746.

[36] مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، 1985م،ص 177.

[37] لاشك أن مدينة تلمسان كانت حاضرة علمية بامتياز؛ وما يدل على ذلك المدارس والكتاتيب وكثرة المساجد التي تربى النشئ فيها على تحفيظ القرآن، وقد أعد الباحث الأثري (Bargés) حوالي واحد وستون مسجدا يتولى مهمة التربية والتعليم، كما توصل من خلال أبحاثه الى أن كثرة المرافق العلمية ساهمت بشكل كبير في تشكيل نخب حاذقة في مختلف العلوم وعلى رأسها علم الطب والمنطق وغيرها. ينظر إلى: Bargés(L.J.JL), Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, Khafila Edition et Dstribution, Alger, 2001,p413.

[38] محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 139.

[39] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ- 1980م، ص 204.

[40] التنسي، المصدر السابق، ص 126.

[41] هو "أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان بن ثابت"(723هـ/1323م- 791هـ/1390م)، سابع ملوك بني زيان نشأ بتلمسان، ثم اضطرته الظروف إلى أن يخرج منها ويقيم لاجئ عند بني حفص بحاضرتهم، ثم تنقل في بلاد الجريد بين القبائل العربية الموالية له ليستقر به الأمر في النهاية إلى تلمسان ويدخلها عنوة على أبو عنان المريني سنة 760هـ/1359م، وكان رجلا شجاعا ذا مروءة وشهامة قال يحي بن خلدون: "بأن له نظم ارتفعت طبقته عن شعر الملوك وسياسة تكفل بتعريف فضلها تأليفه المسمى بنظم السلوك"، وأول ملوك بني زيان اتخذ عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كطقس رسمي في تلمسان. ينظر ترجمته إلى: يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص ص 15- 16.

[42] وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 129.

[43] عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 58.

[44] بوباية عبدالقادر، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م)، الملتقى الوطني لتاريخ وآثار منطقة تلمسان عبر العصور يومي 12-13 جوان 2007م، ص 05.

[45] القلصادي، المصدر السابق، ص 94.

[46] نفسه، ص 95.

[47] Bargés, Op cit, p251.

[48] الفَّاذ: الفَذ هو الواحد، وقد فذّ الرجل عن أصحابه إذا شذّ عنهم وبقي فرداً ينظر إلى: ابن منظور، لسان العرب، م3، ص 502.

[49] القلصادي، المصدر السابق، ص 95.

[50] نفسه، ص 95.

[51] Fatima (Z.B.O), Tlemcen capitale musulmane le siecle d'or du Maghreb central, Edition Dalimen, Tlemcen, 2011, p235.

[52] القلصادي، نفسه، ص 108.

[53] نفسه، ص 96.

[54] ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان، تحقيق: بوباية عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م، ص 365.

[55] القلصادي، نفسه، ص 97.

[56] نفسه، ص 98.

[57] التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 499.

[58] ابن مرزوق الخطيب، المناقب، تحقيق: سلوى الزاهري، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008م، ص ص 139- 140.

[59] ابن فرحون المالكي، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2006م، ص81.

[60] السخاوي، المصدر السابق، ج9، ص 15.

[61] القلصادي، نفسه، ص ص 98- 99.

[62] سيدي الحلوي: تشير المصادر التاريخية بأنه أحد الأولياء الصالحين من أصل أندلسي في اشبيلية، هاجر وسكن حاضرة تلمسان في القرن الثامن الهجري/14م، وعرف بعلمه وورعه وصلاحه وكرمه، أما كنيته (الحلوي) كما يذكر يحي بن خلدون؛ فإنه كان يبيع ويتصدق الحلوى على الصبيان ويطعم الجياع، حتى اشتهر بذلك بين عامة الناس في وصف مناقبه ومحاسنه وبركاته، لم يعطينا ابن خلدون تاريخ وفاته بتلمسان؛ لكن الدراسات الأثرية أشارت إلى البناء المعماري للمسجد الذي سمي عليه (مسجد سيدي الحلوي) الذي يقع شمال المدينة سنة 754هـ/ 1353م، من طرف السلطان المريني أبي عنان بعد استلائه على مدينة تلمسان. للتعمق أكثر ينظر إلى: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 165-166. والبستان لابن مريم، ص ص 68-70. و Bourouiba (Rachid), L'art religieux en Algérie, Alger, 1973, p p 153-203.

[63] القلصادي، نفسه، ص 99.

[64] نفسه، ص 100.

[65] المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م، ص 96.

[66] القلصادي، نفسه، ص 102.

[67] نفسه، ص 102.

[68] نفسه، ص ص 102- 103.

[69] العبّاد: تعتبر قرية العباد مكانا مقدسا في ذهنية المجتمع التلمساني وغيره من مجتمعات المغرب الاسلامي، لأنه احتوى على ضريح الولي الصالح "أبي مدين شعيب" صاحب الكرامات والفضائل، ويأتيه الزائرون من كل حدب وصوب التماسا لبركة الشيخ كلما سنحت الفرصة لهم وهذه عادة راسخة في معتقداتهم، فمنهم من زار قبره فتيسرت أحواله وانبسط أمره، ومنهم من زار ضريحه فزال عليه عقبات ومعاناة الرحلة، ومنهم من يزوره لأغراض اجتماعية أخرى، ومنهم من يدفن بجانب العباد تكريما له ببركة الشيخ، وهذا الفضل ناله الشيخ أحمد بن زاغو، قال المقري في نفح الطيب، م9، المصدر السابق، ص 347.واصفا العبّاد:

وَلِتَعدُ لِلْعُبَّادِ مِنْهَا غدْوَةً تُصْبِحْ هُمُومُ النَّفْسِ عَنْكَ بِمَعْزَلِ
وَضَرِيحُ تَاجِ العَارِفِينَ شُعَيْبُهَا زُرهُ هُنَاكَ فَحَبَّذَا ذَاكَ الوَلِي
فَمَزَارُهُ لِلدِينِ وَالدُّنْيَا مَعاً تُمْحَى ذُنُوبَكَ أَوْ كُرُوبَكَ تَنْجَلِي

[70] القلصادي نفسه، ص 106.

[71] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2009-2010م، ص 183.

[72] محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 61.

[73] استُعملَت هذه الطُرق التَعليمية في حاضرة تلمسان؛ وهي بمثابة المنهج الذي يُلزَم الطالبُ به في التَحصيل والتلَقي؛ لاسيما وأن علماء تلمسان وعلى رأسهم "أبي عبد الله الشريف التلمساني" كانوا يُشدّدونَ على ذلك مع التَقيِيد والتَدوين ما أُلقيَ وشُرِحَ في كتُب وكراريسْ حتى لا يضيعَ العِلم، وهذا ما نلتمسه في رحلة "القلصادي"، إذ يشدُّ انتباهنا في الكثير من المواطن على أن هذه الطرق كانت متَداولة ومن القرائن الدالة على ذلك يذكر: "فقرأت عليه" و"عليك أن ترى من حسن إلقائه"، وبما أن "القلصادي" كان حاذقا في علوم الرياضيات يشير الى أنه تلقى هذا العلم بطريقتي التصحيح والكسور من كتاب الحوفي وتلخيص ابن البناء. للمزيد من الاطلاع أكثر على ذلك ينظر إلى: مُؤلفنا، طرق التعليم عند أبي عبد الله الشريف التلمساني، مجلة عصور الجديد، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، العدد 27، أكتوبر 2017م، ص ص 100-101.

[74] المدرسة اليعقوبية: بنيت هذه المدرسة في حدود (763-765هـ/ 1361-1363م) على يد السلطان "أبي حمو موسى الثاني" وأطلق عليها (اليعقوبية) تخليدا لروح والده "أبي يعقوب" كما ذكر يحي بن خلدون، وكان سلاطين بني زيان يولون المنشآت العلمية أهمية كبيرة في تلمسان، ويحتفلون بتدشينها كانجاز حضاري ومشروع علمي لا يُكَلَف بالتعليمِ فيهَا إلاَّ النُخبة، وكان "أبو عبد الله الشريف" من بين الذين تولى الإشراف عليها تدريسا وتوجيها وتعليما، إذ كانت تضاهي مدرسة "القرويين" و"الزيتونة" لكثرة وفود الطلبة عليها وأكابر العلماء. ينظر إلى: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص133.

[75] القلصادي، المصدر السابق، ص 104.

[76] عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان –ضمن كتاب جماعي الجزائر في التاريخ-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 439.

[77] القلصادي، نفسه، ص 101.

[78] نفسه، ص 103.

[79] نفسه، ص 103.